حادي عشر: تكوين عاطفة كراهية الكافرين، وعدم موالاتهم في وجدان المراهقة:

بحيث يوضِّح الوالدن لها أن عاطفة الولاء للكافرين ومودتهم قد أولاها القرآن اهتماماً مناسباً لخطورتها؛ فقد تناول هذه العاطفة في مواضع متفرقة في الكتاب العزيز، فتحدد بذلك نوع العلاقة المسموح بها في التعامل معهم في جميع الأحوال والمجالات، ومن ذلك: يقول ـ عز من قائل ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [**الممتحنة**: ١]، وقال ـ تعالىٰ ـ في آية أخرىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**المائدة**: ٥١]، كما قال ـ سبحانه ـ أيضاً: ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [**آل عمران**: ٢٨]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾.

[**المائدة**: ٥٥، ٥٦].

ومن الفوائد التي اشتملت عليها الآيات السابقة، وينبغي أن يوضحها الوالدان للمراهقة:

ـ حرمة موالاة الكافرين بالنصرة، أو التأييد، أو المودة دون المسلمين مطلقاً.

ـ بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متىٰ تمكنوا منهم؛ لأن قلوبهم عمياء، لا يعرفون معروفاً ولا منكراً بظلمة الكفر في نفوسهم، وعدم مراقبة الله

عز وجل؛ لأنهم لا يعرفونه ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم[١].

ـ موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان فلذا تؤدي إلىٰ الكفر.

ـ ولاية الله ورسوله والمؤمنين الصادقين توجب لصاحبها النصر والغلبة علىٰ أعدائه[٢].

ـ أن التَّقِيَّة هي السلوك الوحيد المسموح به في علاقة المؤمنين مع الكافرين في حالة الضعف، وأما من قوي يقينه فلا يخشىٰ إلا الله[٣].

وبهذا يؤكد الوالدان للمراهقة بأن القرآن الكريم قد قطع جميع السبل أمام عاطفة مودة الكافرين وولائهم.

وأشير هنا إلىٰ أهمية تكوين الوالدين لمثل هذه العاطفة في وجدان الفتاة في هذه المرحلة خصوصاً بعد انتشار وسائل الاتصال، والبث المباشر الحديثة التي تلعب دوراً كبيراً في إمكانية تكوُّن عاطفة الحب للكفار وولائهم لدىٰ المراهقين والمراهقات ـ بدلاً من العكس ـ والتشبه بهم في زيِّهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وسائر أمورهم الحياتية؛ فإن هذا من شأنه أن يدخل الفتاة في دائرة الولاء للكفار؛ لذلك كان علىٰ الوالدين مسؤولية تدارك مثل هذا الأمر بالعمل علىٰ تنمية عاطفة الكراهية للكفار، وعدم موالاتهم في وجدانها ابتداءً.

ثاني عشر: متابعة توجيه عاطفة الحب لدى المراهقة:

الحب: انفعال وجداني يوجه سلوك الفرد نحو ذات المحبوب أو الشيء المرغوب، وهذا الانفعال يتميز بكثرة مجالاته في النفس الإنسانية، وخاصة في

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٤/ ٤٥٨، ٤٥٩.
(٢) المرجع السابق ١/ ٥٤٢، ٥٤٤.
(٣) المرجع السابق والمجلد، ص: ٢٥٤.

مرحلة المراهقة حيث يتسع مجال الشعور الوجداني للمراهق، وتتعدد موضوعاته، وتتنوع، وتتمايز.

وعلماء النفس المحدثون يقتصرون في دراستهم للحب على حب الذات، والحب الجنسي، والحب الأسري، ولكنهم لا يتعرضون لحب الإنسان لله، وحبه للأنبياء والرسل، وحبه للمُثُل الإنسانية العليا كالعدل، والصدق... إلخ، على الرغم من أن هذه الأنواع من الحب هي من أرقى أنواع الحب الإنساني، وبها وحدها يتميز الإنسان عن الحيوان(١).

فحب الله ـ تعالى ـ أسمى وأقدس وأزكى موضوعات الحب، ثم يليه في درجة سموٍّ حب رسول الله ﷺ، وانفعال حب الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الأساس الذي ينبغي أن يتابع الوالدان بناء صرح أخلاق المراهقة عليه؛ ذلك أن حب الله ـ تعالى ـ والإيمان به يُنشِّئ الخُلُق القويم حتماً، ويبعد المراهقة خاصة والإنسان عامة عن الدنايا، ويدفعها إلى فعل المكرمات. كما أن حب الله ـ تعالى ـ يوقظ في نفس المراهقة الإحساس الدائم بنعمه وفضله، ويسمو بها إلى مقام الشكر على النعم، وهذا الشعور من أقوى الحواجز التي تحول دون انحراف السلوك في مرحلة المراهقة، فتحظى الفتاة بالفوز يوم الدين بما أعده الله ـ تعالى ـ لشاب نشأ في عبادة ربه، لما ورد عنه ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله ـ تعالى ـ في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عدلٌ، وشاب نشأ في عبادة الله... الحديث»(٢).

وحب الله ـ سبحانه ـ ينمي انفعال حب رسول الله ﷺ، وهو من لوازم الإيمان بالله، والشعور به، والاطمئنان إليه؛ فقد ورد عن الرسول ﷺ قوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٢٦٢.
(٢) سبق تخريجه، ص: ١٢٥.

أن يقذف في النار»[١] ، كما ورد عنه ﷺ قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين»[٢].

والحب في الله أساس المشاركة الوجدانية، فهو من العوامل الهامة الدافعة إلى المشاركة والمساندة؛ لذا ينبغي أن يتجه الوالدان بطبيعة الحب عند المراهقة إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى رسوله ﷺ، ليسلم الحب من الارتباط بالأهداف المادية وحدها، ومن ثم يؤكدان لها بأن الحب في الله من لوازمه حب الله ـ سبحانه ـ للإنسان، ويدل على ذلك ما ورد عنه ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته[٣] ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةَ تَرُبُّها[٤]؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[٥].

ومن هنا تأتي أهمية تربية انفعال الحب في المراهقة وتوجيهه؛ حيث يحاول الوالدان أن يتجها به عند الفتاة إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وهذه التربية هي صمام الأمان في فترة المراهقة وما يليها من مراحل العمر، فتسلم للمراهقة بعد ذلك سائر انفعالات الحب الأخرى، فتستقيم في حبها لنفسها، ولأبيها، ولأمها، وإخوتها، وزوجها، وأبنائها ـ فيما بعد ـ والناس أجمعين، كما تستقيم

(١) أخرجه البخاري، ك/ الإيمان، ب/ حلاوة الإيمان، رقم ١٦؛ ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم ٤٣.
(٢) أخرجه البخاري، ك/ الإيمان، ب/ حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم ١٥؛ ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ وجوب محبة رسول الله ﷺ، رقم ٤٤.
(٣) المدرجة: أي الطريق أو المسلك، انظر: برنامج موسوعة الحديث الشريف.
(٤) أي تحفظها، انظر: المرجع نفسه.
(٥) أخرجه مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ في فضل الحب في الله، رقم ٢٥٦٧.

في حبها للمال، وأنواع المتاع الأخرىٰ، فحب الله تعالىٰ بالمستوىٰ السابق علامة علىٰ الإيمان الصادق بالله والوجدان المتقدم بحرارة الشوق للعمل الذي يرضيه، ويباعد عن سخطه تعالىٰ.

وأذكِّر هنا بأن التجاذب بين الذكر والأنثىٰ دافع فطري، انفعاله المصاحب له الحب المتبادل بين الطرفين، وهذا التجاذب ينشأ الإحساس به منذ بداية المراهقة[١].

والفتاة تسبق الفتىٰ في ميلها نحوه؛ لأنها تبلغ قبله، ويتطور هذا الحب في أول المراهَقَة ووسطها إلىٰ حب عذري يضفي علىٰ حياة المراهقة ألواناً فيَّاضة من المشاعر، والخيالات، والأحلام الجميلة، ثم يتطور الأمر بالمراهِقَة ـ خاصة قُبيل الرشد ـ فتثبت علىٰ ناحية ما في اختيارها[٢].

وكثيراً ما تساعد وسائل الإعلام المرئية في إذكاء نار هذا الانفعال من خلال الأفلام والمسلسلات التي تتفنن في عوامل إثارة هذا الانفعال؛ ولذلك كان علىٰ الوالدين ـ وخاصة الأم ـ أن توضح لفتاتها المراهقة بأن التجاذب بين الجنسين ينشأ الشعور به مع بداية هذه المرحلة، وهو شعور فطري جِبِلِّي في أصله، ولكن نشوء هذا الشعور لا يجيز لها الاهتمام الزائد به وتبديده، بل يجب عليها أن تحافظ علىٰ جديته وفاعليته حتىٰ تتهيأ لها الظروف المناسبة لتلبية دواعي فاعلية التجاذب في زواج هادف[٣].

كما علىٰ الأم أن تؤكد لابنتها بأن الإسلام دين فطري، لا يستنكر الحب ولا يستقذره، إنما ينظم هذا الانفعال في إطار الزواج، وقيام حياة مشتركة، وبناء أسرة، وهو لهذا لا يقبل من الفتىٰ أو الفتاة أن يهيما علىٰ وجهيهما في مرحلة

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٢٦٢ ـ ٢٦٦.
(٢) المرجع السابق، ص: ١٥٧.
(٣) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٢٦٦، ٢٦٧.

المرَاهَقة؛ لأنه دين يستقذر الإباحية والفوضىٰ، وهو لهذا يستنكر أن يلتقي الفتيان بالفتيات كيلا ينحرفوا بانفعال الحب الفطري، فينصرفوا به عن اتجاهه الأصيل، فالتجاذب بين الجنسين نداءٌ فطري، والإسلام يحرص علىٰ أن يسير به في طريقه الصحيح، وليس ثمة طريق يتفق مع منهجه الفطري غير نظام الزوجية[١].

وفي الوقت نفسه ينبغي أن يرشد الوالدان المراهقة إلىٰ مواصفات اختيار الزوج كالصلاح، والدين، والإيمان، والتقوىٰ ضماناً لمستقبل حياتها معه بغضِّ النظر عن جمال شكله، أو جسمه، أو ثرائه، وكذلك ينبغي عليهما أن يوجهاها إلىٰ الالتزام بأمثل الطرق والآداب الإسلامية للحفاظ علىٰ هذا الشعور الفطري حتىٰ يأتي الوقت المناسب[٢].

وأشير ـ ختاماً ـ إلىٰ أهمية توعية الوالدين للمراهقة بالأهداف الحقيقية الكامنة خلف الأفلام، والمسلسلات الهابطة، والأغاني الخليعة، والقصص الغرامية الساقطة الوضيعة، ونماذج الخطابات، وأساليب نشأة السلوك الغرامي، وغير ذلك من دواعي الانحراف، فوعي المراهقة بالأهداف الحقيقية وراء هذا الركام والحطام يبصرها بخبث هذه الاتجاهات، ويمدها بمقوِّمات التحمُّل والصبر علىٰ الفتنة، ويساهم في تقوية شخصيتها[٣].

وأخيراً: لا بد أن تكون الأم ـ بصفة خاصة ـ صديقة لابنتها المراهقة، تُعلِّمها بأن تصارحها بكل أسرارها، وألا تخفي عنها ما تقوله لصديقاتها، وأن تبحث في شخصية هؤلاء الصديقات فإذا وجَدَتْ فيهن من تشعر بفساد في خلقها استبعدتها بلباقة من حياة ابنتها حتىٰ لا تنتقل إليها عدوىٰ الفساد، ومما لا بد أن

(١) المرجع السابق، ص: ١٥٧، ١٥٨.
(٢) راجع مبحث التنشئة الجسمية للمراهقة، عنصر التربية الجنسية.
(٣) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٢٦٩، ٢٧٠.

تدركه الأم أن من أسباب معاناة المراهقة هو خجلها مما يدور في قلبها تجاه أحداث معينة، أو أشخاص معينين، وأن تشددها هي والأب في عدم قبول أي معنىٰ عاطفي للبنت يدفعها دفعاً لأن تلقي بأسرارها لإحدىٰ الصديقات التي قد تكون غير ملتزمة فتضيع معها الفتاة، وتنزلق للمزيد من الأخطاء، فعلىٰ الأم أن تدرك أن العاطفة بوصفها شعور ليست عيباً، ولكن العيب أن تترك فتاتها حتىٰ يتحوَّل شعورها العاطفي إلىٰ سلوك يُغضِب الله، ومن ثم يرفضه المجتمع، ويحدث سراً، وبعيداً عن عيون الأهل الذين قد تفجعهم الحقيقة في يوم ما[١].

ثالث عشر: إشباع حاجة المراهقة إلى الحب، والعطف، والحنان:

إن المراهقة التي تعيش في نطاق أسرة ترعىٰ مطالبها وحاجاتها، وقد ساد الوئام والمحبة بين أفرادها تختلف في موقفها عن المراهقة التي تجد نفسها في أسرة لا ترعىٰ حاجاتها، ويشيع الكره بين أفرادها، وتسيطر الأنانية علىٰ قلوبهم.

فالوالدان المسلمان لا بد أن يقدِّرا عَظَمة التَبِعة الملقاة علىٰ عاتقيهما، فالأبناء والبنات أمانة استرعاهما الله ـ تعالىٰ ـ عليها، وهما لهذا مسؤولان عن تربيتهم، وتعويدهم كريم الخصال، كما أنهما مسؤولان عن توفير حاجاتهم ومطالبهم، ومسؤولان عن إشباع حاجاتهم الوجدانية النفسية، والإسلام لا يقبل أن يوجه الآباء جلَّ اهتمامهم لإحدىٰ هذه المجالات دون غيرها لما في ذلك من أثر سلبي علىٰ الباقي.

فالسلطة المنزلية المتمثلة في الأب أولاً، ثم الأم لا بد أن تكون عمادها الرحمة، والعطف، والحنان، والحب، والرعاية الدائمة للأولاد، وقد تضطر هذه السلطة الجادة أن تشتد أو تقسو؛ لتكبح جماح المراهقة إذا ما شذَّت في

(١) ابنتك المراهقة أمانة في عنقك، نادية عوض، المجلة العربية الرياض، العدد: (١٩٠)، ذو القعدة، عام ١٤١٣هـ، ص: ٥٨، ٥٩.

سلوكها وتصرفاتها تهذيباً، وتقويماً لطباعها.

وقد دلَّت الأبحاث على أن درجة اعتماد المراهقين على رأي زملائهم، أو تأثرهم بتوجيههم تختلف باختلاف مدى الاهتمام الذي يتلقونه من الوالدين ونوعه، فالمراهقون الذين يُخْفِق آباؤهم في توفير ما يحتاجون إليه من حب، ورعاية، أو الذين يفتقدون آباءهم لتغيُّبهم عن المنزل لسبب أو لآخر، مثل هؤلاء المراهقين يكونون أشد ميلاً إلى الاعتماد على جماعة الرفاق لإشباع حاجاتهم الانفعالية، وفي دراسة قام بها كل من «كوندري» و«سيمان» جرت مقارنة بين مجموعة من المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم أساساً على رأي جماعة الرفاق، ومجموعة أخرى من المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم أساساً على رأي الكبار المحيطين بهم، وقد أسفرت هذه المقارنة عن اكتشاف فروق كبيرة بين اتجاهات الوالدين نحو أبنائهم في كلتا الحالتين، فاتجاهات آباء المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم على الرفاق كانت تتسم بالإهمال السلبي، أما المجموعة الأخرى فكانت اتجاهات آبائهم تتسم بالاهتمام، أو الرعاية الإيجابية(١).

وعلى ذلك فإن المراهقة التي تعيش في جوٍّ أبوي عاطفي تسود فيه المحبة، والمودة، والعطف، والحنان لا تستريح إلى مجالسة الناس كما تستريح إلى مجالسة والديها، ولا تتمتع بمصاحبة الآخرين كما تتمتع بمصاحبتهما؛ لأنها لا تجد أحداً يفهمها، ويوجهها، ويُخْلِص في توجيهه لها كوالديها، مما من شأنه أن يمنعها عن مصاحبة رفيقات السوء، وهذا أمر له أهميته البالغة في هذه المرحلة(٢).

وأخيراً: فإن المراهقة في هذه الفترة من حياتها تكون في أمسِّ الحاجة إلى

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ١٧٧، ١٧٨.
(٢) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٤٧، (بتصرف).

الحب والحنان، ومشاعرها الفياضة في هذه المرحلة النمائية تفيض بالحب والحنان لكل أفراد المجتمع، وفي مقدمة من تحبهم الأب والأم، وهذه المشاعر الرقيقة تحتاج منهما تغذيتها بالغذاء المناسب الذي تتطلبه هذه المرحلة، وإن عدم قيام الوالدين بواجبهما نحو إشباع دافع الحب والحنان لدىٰ المراهقة قد يؤدي بها إلىٰ الشعور بالإحباط[١].

رابع عشر: دعم الوازع الداخلي «النفس اللوامة» وتعزيزه لدى المراهقة:

سبق الحديث في مرحلة الطفولة عن ضرورة إيجاد الوازع الداخلي لدىٰ الطفلة[٢]، وفي مرحلة المراهقة كان علىٰ الوالدين مسؤولية متابعة دعم هذا الجانب وتعزيزه؛ لأن المراهقة حينما تكتسب جملة من القيم والمعايير والمبادئ الخُلُقية، وتستخدمها في الحكم علىٰ دوافعها وسلوكها، وتهتدي بها في تفكيرها وأعمالها، وتجعلها الموجِّه والناقد والمُوقع للعقاب الدافع المانع الرادع لها؛ فإنها تكون متكيفة تكيفاً نفسياً سليماً، ومستقرة اجتماعياً، وتستطيع أن تبني لنفسها ضميراً حياً يجعلها ناضجة اجتماعياً ونفسياً، ويتضح ذلك في قدرتها علىٰ تبيُّن حاجات الآخرين، وإدراك أهمية إشباعها، وإحساسها بهم، أو كما يسميه بعض علماء النفس: «الشعور بالمعيَّة» Feeling Togetherness، كما يجعلها تدرك أن سعادتها وثيقة الارتباط بسعادة غيرها من الناس، وتؤدي بها القيم التي اكتسبتها إلىٰ عدم تركيز اهتمامها حول ذاتها، وإنما تراعي في كل أفعالها مصلحة الجماعة التي هي عضو فيها، كما تجعل علاقتها بالجنس الآخر لا يشوبها العار، وهي تحاول دائماً أن تعتمد علىٰ نفسها في حل مشكلاتها، ولا تتهرب من مواجهة

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٢١٠، ٢١١.
(٢) انظر: مبحث التنشئة الوجدانية للطفلة في الجزء الأول.

المشكلات دون أن تحاول حلها، كما أنها لا تعيش باستمرار في عالم الخيال والتمنيات، وتكون قد وضعت لنفسها أهدافاً لحياتها بصفة عامة اشتقتها من نظام القيم الذي يحتويه ضميرها، وتشتق منه المبادئ والتوجيهات التي تسترشد بها في حياتها(١) .

ومن نافلة القول أنه لا يمكن للتربية الإسلامية الإنسانية ـ المتمثلة في الوالدين مثلاً ـ أن تصل بالنفس البشرية إلىٰ مستوىٰ الشخصية السامية المتكاملة المتوافرة لدىٰ الرسل والأنبياء؛ فهؤلاء رعتهم قدرة الخالق سبحانه، وحصَّنتهم من كثير من نوازع النفس الطبيعية؛ ولذا فإن أسمىٰ ما يمكن أن تهدف إليه تلك التربية الوصول بالنفس إلىٰ مستوىٰ النفس اللوَّامة التي أقسم الخالق بها تشريفاً لها في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [**القيامة**: ٢]، وهي النفس المؤمنة التي تلوم صاحبها إن أخطأ، وتدفع به إلىٰ اتباع الحق والهدىٰ بصورة متزايدة، وتتصرف بعد معرفة سليمة صادقة، وتسعىٰ إلىٰ ما يرضي الخالق. ولعل عبارة الضمير الحي أقرب ما تكون معنىً إلىٰ النفس اللوَّامة في العصر الحاضر، فالضمير الحي هو الذي يحاسب النفس ويوجهها إلىٰ فعل الخير بعد أن يوقظ فيها الإحساس بالخطأ والصواب، وضمان استمرارية صحوة هذا الضمير هو الهدف الأساس للتربية في الإسلام، وبذلك تملك النفس الإنسانية معياراً أكيداً ثابتاً لضبط سلوكها بشكل تلقائي(٢) .

والإيمان الصادق العميق يبني ضمير المسلم، ويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه إيمانه، لا يشغله عن ذلك شاغل، يصوِّر ذلك الرسول ﷺ في العبادة بقوله:

(١) الصحة النفسية، مصطفىٰ فهمي، ص: ٣٣١، ٣٣٢.
(٢) الأسرة ورعاية الذات الإنسانية للأطفال، ريما كمال الضامن، ص: ٢٧.

«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

والإسلام في تربيته للضمير الديني لم يجعل نتيجة الخوف أمراً سلبياً وهو النجاة من العقوبة، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاءً إيجابياً هو الثواب الجزيل، والأجر العظيم، وهذا بعض ما يفهم من قوله: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾ [**النازعات**: ٤٠، ٤١]، وقوله: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [**الرحمن**: ٤٦]، فإذا طلب الوالدان من المراهقة تعويد نفسها أن تراقب الله ـ تعالىٰ ـ عند كل عمل تعمله، موقنة أنه ـ تعالىٰ ـ مطَّلع علىٰ جميع أعمالها، ومعتقدة أنه ـ تعالىٰ ـ يجازي من أطاعه برضوانه وإحسانه، وأنه ينزل غضبه ومقته علىٰ من خالفه وعصاه، فإذا عوَّدت المراهقة نفسها علىٰ ذلك سهل عليها أن تفعل ما أمرها الله به، وتجتنب ما نهاها عنه، فإذا سوَّلت لها نفسها أن تأتي معصية تردّها، وتزجرها، وتتذكر عزة الله وجلاله، وأنه ـ تعالىٰ ـ قادر علىٰ الانتقام منها، ومطَّلع عليها، لا تخفىٰ عليه خافية، حيث يقول ـ عز وجل ـ: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [**المجادلة**: ٧].

فالضمير الحي، أو القلب السليم هو النور الذي يهدي الفتاة في مسالك الحياة، ويملأ نفسها اطمئناناً ورضىٰ، فإذا ظفر الوالدان بتربيته وإيقاظه في الفتاة فقد أقاما إحدىٰ دعائم التربية الناجحة القويمة لها، يقول الرسول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا

(١) أخرجه البخاري، ك/ الإيمان، ب/ سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ٥٠؛ ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ٩.

وهي القلب»[١] .

وللعبادات التي فرضها الله ـ سبحانه ـ كثير من الأسرار النفسية والاجتماعية، والمقاصد الحيوية التي تستهدف خير الإنسان، وتربية قلبه، والصلاة على رأس هذه العبادات، وقد اقتضت حكمة الله ـ جل وعلا ـ أن يكون في تكرارها طرفي النهار وزلفاً من الليل ما يعمِّر الوجدان، ويزيد القلب خشوعاً، فيطمئن القلب بذكر الله، فلا يكاد المؤمن المصلي ينسى ندمه وحياءه من ربه في الصباح ويرجع إلى خطيئة جديدة حتى يأتيه الظهر ثم العصر فالمغرب فالعشاء فلا ينام إلا وهو نادم على ذنبه، أو تائب عنه[٢]، يقول ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [**العنكبوت**: ٤٥]، ولقد نبَّه الرسول ﷺ إلى تربية الأولاد ـ ذكوراً وإناثاً ـ على أداء الصلاة مع زيادة الاهتمام بها في بداية سنِّ المراهقة حيث قال: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»[٣] .

ومن هنا يجب على الوالدين أن يعنيا العناية كلها بإحياء هذا الوازع الديني في نفس المراهقة، وأن يتخذا منه وسيلة لتحصين القيم الأخلاقية عندها، ومن الأساليب التربوية التي يمكن أن يستخدمها الوالدان في ذلك تعويدها ممارسة النقد الذاتي، وهو عملية تقوم بها المراهقة مع نفسها، تستعرض فيها سلوكها بسلبياته وإيجابياته، وبسيئاته وحسناته، حيث تزن أعمالها بميزان الأخلاق الإسلامية،

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ الإيمان، ب/ فضل من استبرأ لدينه، رقم ٥٢؛ ومسلم، ك/ المساقاة، ب/ أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم ١٥٩٩ . والمضغة: قطعة لحم بقدر ما يمضغ، انظر: برنامج موسوعة الحديث الشريف.

(٢) التربية الإسلامية للطفل والمراهق، محمد جمال الدين محفوظ، ص: ١٧٨ ـ ١٨٠ .

(٣) أخرجه أبو داود، ك/ الصلاة، ب/ متى يؤمر الغلام بالصلاة؟ رقم ٤٩٤؛ والترمذي، ك/ الصلاة، ب/ ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة؟ رقم ٤٠٧، واللفظ له.

ثم تقرر في النهاية ما تنوي عمله لإصلاح نفسها، وتنمية شخصيتها نحو الكمال المنشود، امتثالاً لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [**الحشر** : ١٨] .

والطريق إلىٰ تربية المراهقة علىٰ النقد الذاتي تقوم علىٰ أساس أن يردَّها والداها إلىٰ نفسها، فيطلبا منها ـ إذا ارتكبت خطأ ما ـ أن تنقد نفسها، ثم يناقشانها فيما تصل إليه، وقد ثبت أن تربية المراهقة علىٰ النقد الذاتي تحقق المزايا والفوائد الآتية :

ـ تربية الضمير السليم لديها .

ـ غرس الشجاعة الأدبية في نفسها .

ـ حرصها علىٰ السلوك السليم، وعدم ارتكاب الأخطاء .

ـ تقبلها للنصح والتوجيه بصدر أرحب .

ـ تقبلها للعقاب المناسب إذا ما وقع عليها بصورة موضوعية .

وإذا كان النقد الذاتي أمراً حيوياً ومفيداً في مراحل الحياة عموماً، فهو في مرحلة المراهقة أشد حيوية؛ ذلك لأن شخصية المراهقة تتسم بالرغبة في تأكيد الذات، والرغبة في مقاومة السلطة إلىٰ الحد الذي تعتبر فيه نصيحة الأبوين تدخلاً في شؤونها، واعتراضاً علىٰ حريتها واستقلالها . ولذلك يكون اعتماد الوالدين في تقويم سلوك المراهقة علىٰ تعويدها علىٰ النقد الذاتي محققاً لرغبتها في تأكيد ذاتها، واعترافاً منهما بشخصيتها، وقدرتها علىٰ التمييز بين الخطأ والصواب بهدي تفكيرها . والوالدان بذلك لا يصادران شخصية المراهقة، ولا يصادمانها، ولا يفرضان عليها التوجيه فرضاً، ولا يُولِّدان لديها قوىٰ

المقاومة، ولا يؤديان إلى حدوث المشكلات الانفعالية [١] [٢].

وكذلك مما يعين على إصلاح الضمير: القدوة الصالحة، وحسن اختيار الأصدقاء، وحسن اختيار الكتب والقصص والمجلات التي تدعو إلى الفضيلة والاستمساك بالخلق الحسن، وتُعنى بالبحث في المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، وتبحث في عظماء الرجال والنساء[٣].

(١) التربية الإسلامية للطفل والمراهق، محمد جمال الدين محفوظ، ص: ١٨١ ـ ١٨٤.
(٢) وقد وضع نجيب العامر في كتابه: (مواقف نسائية مشرفة) جداول؛ منها اليومي، والأسبوعي، والشهري، والسنوي، يمكن أن تعين المسلمة على محاسبة نفسها وتقويمها.
(٣) في رحاب الضمير الإنساني، حديوي حلاوة، المجلة العربية، الرياض: العدد (١٧٢)، جمادى الأولى، عام ١٤١٢هـ، ص: ٦٦.